



لا يمكن المتابع للشأن العام أن يمر مرور الكرام بزيارة بطريرك الموارنة مار بشارة بطرس الرايعي إلى دمشق يومي السبت والأحد للمشاركة في تنصيب بطريرك الروم الأرثوذكس يوحنا العاشر.

ولا بد من قراءة أكثر موضوعية من التصريحات الانفعالية التي سادت في اليومين الأخيرين عبر موقع التواصل الاجتماعي، وبلغ بعضها حد الانجراف إلى تشويه المقدسات والتطاول عليها ولو عرضاً ومن غير قصد، هو انجراف عاطفي بلغ حد تفلت الغرائز وصولاً إلى التجريح والشتيمة.

في المقابل، لا أوفق الأمين العام لقوى 14 آذار الدكتور فارس سعيد على دعوته **الأخرين**، أي غير الموارنة، أو ربما غير المسيحيين، إلى عدم التطرق إلى الزيارة وترك أمر الترحيب بها أو انتقادها للمسيحيين أنفسهم.

في كلام سعيد محاولة حماية للرايعي من تعليقات جارحة وتهجمات أكيدة لن توفر زيارته بكل أبعادها، وربما تناولته شخصياً في حركته وموافقه، لكن رجال الدين، كما رجال السياسة، وكل متعاط للشأن العام، معرضون في حركتهم اليومية للانتقاد، فكيف إذا كانت لحركتهم انعكاسات وترددات تصيب الجميع في الداخل والخارج، وكيف إذا كانت حركة رجال الدين عندنا في قلب السياسة، وربما كان بعضهم يهتم للشؤون الدينية أكثر من انشغاله بأمور الدين.

الأكيد أن **البطريرك الكاردينال جريء** في خطوطه التي تقارب حد الخطير، وإن يكن النظام السوري جهد لتأمين غطاء أمني للزيارة، كما لاحتفال التنصيب الذي أقيم أمس، ليظهر أمام العالم مظهر الدولة القادر على حفظ أنها وأمن ضيوفها.

الزيارة في بعدها المسيحي تعطي دفعاً معنوياً ل المسيحي سوريا والشرق في هذا الظرف العصي، وهو بعد كنسي مهم في حياة الرعاة منذ العصور الأولى للمسيحية عندما كان الأساقفة يموتون من أجل رعيتهم ويبذلون أنفسهم عنها. لم يكن الأساقفة يتحركون في مواكب مصفحة وتتوافر لهم الحماية الأمنية.

لكن للزيارة أيضاً بعدها سياسياً واضحاً وإن شاء منظموها ألا يركزوا على هذا الجانب، أو أن يغفلوه كلية. فالتوقيت غير مناسب، وفي غياب "الغطاء المسيحي" الذي درج العمام المتقاعد ميشال عون على توفيره للنظام السوري بزيارة لبراد في عيد مار مارون، بدت زيارة البطريرك كأنها تسد فراغه. وكانت واضحة موافقة الرئيس السوري الضمنية على عدم دعوة البطاركة لزيارة، وعدم إصراره على لقاء البطريرك الماروني على رغم الطابع التاريخي للزيارة لبلده. وفي كل هذا تنسيق ضمني واضح يخطى حدود الزيارة الراعوية.

هذا في الشكل، أما في المضمون، فان الموقف حرج، إذ ركز البطريرك الراعي على الإصلاح من الداخل وبالحوار، وهو ما فسر بأنه دعوة إلى إبقاء الرئيس الأسد والتحاور معه لتحقيق إصلاحات يعلم البطريرك جيداً أنها مستحيلة مع نظام بهذا النظام...

صحيح أن للبطريرك ملء الحرية في ما يفعل وما يقول، ولسنا في موقع الانتقاد من دوره، ولكن من حقنا أن نسأل عن ارتدادات زيارته.

هل تريح المسيحيين السوريين في تعاملهم مع مواطنين من غير المسيحيين، أم تحرك غرائز من سيقرؤون مواقف البطريرك على هواهم أو وفقاً لما يدركون فتأتي العواقب وخيمة كما في خطف ثلاثة كهنة أمس في سوريا؟ الجرأة والإقدام شرطان ضروريان لتولّي مراكز قيادية، لكن الحكمة تبقى القيمة الأعلى بينهما، لأن الأمور مرهونة بنتائجها. ولا بد أن ننتظر.

النهار

المصادر: